تفسیر

سورة

من

نظام القرآن
تأویل الفرقان بالفرقان

تألیف

المعلم عبد الحمید الفراہی

طبع فی مطبعة معارف اعظم گڑھ

الہند

تفسیر

سورۃ والتین ۹۵

فہرست مطالب الفصول

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ
الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ
بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)

---

(١) (جملة الكلام في عمود السورة ومضمونها ونظمها)

يرى في بادي النظر ان عمود السورة هو اثبات الدين اي الدينونة والقضاء على الانسان حسب اعمالهم فبدء السورة بالقسم على سبيل الاستشهاد وقد بينا في كتاب الامعان ان هذه الاقسام نوع خاص من القسم يراد به الاستشهاد على ما اقسم عليه وليست في شيء من التعظيم للمقسم به فانما هي شهادات لاغير فعلى هذا الاصل استشهد باربع شهادات مشيرة الى وقائع الدينونة في الدنيا ليتذكروا ان الله تعالى ليس بغافل عما يعمل عباده فانه لم يزل يدينهم بالقسط ويحكم عليهم بالحق وابطل بذلك الشبهة في وقوع

الدینونۃ یوم القیامۃ و ہذا النوع من الاستدلال کثیر فی القرآن مثلا [والذٰریٰت ذرواً فالحاملات وقرا فالجاریٰت یسرا فالمقسمٰت امرا انما توعدون لصادق وان الدین لواقع] ایضا [یاایہا الانسان ماغرک بربک الکریم الذی خلقک فسوٰک فعدلک فی ای صورۃ ماشاء رکبک کلا بل تکذبون بالدین] فاستشہد بافعالہ علیٰ کونہ دیانا فہٰکذا ہہنا استدل بوقائع الدینونۃ علی وقوع الدین۔ ثم ختم الکلام بالدلیل اللمی وہو الاستدلال بوصف الرب تعالیٰ وہذا اقوی الدلائل مع غفلۃ الناس عنہ فاختار فیہ اسلوب الاستفہام لیدل علی کون الانکار بہ فی غایۃ الاستبعاد کما تری ذلک فی قولہ تعالیٰ [افنجعل المسلمین کالمجرمین مالکم کیف تحکمون] وقولہ [کیف تکفرون باللہ وکنتم امواتا فاحیٰکم] وقولہ [افی اللہ شک فاطر السمٰوٰت والارض] وہذا کثیر فی القران۔ فکذلک ہہنا اورد البرہان اللمی علی اسلوب الاستفہام۔ ومما ذکر من الشہادات دل ایضا علی طرف خاص من الدینونۃ وہو اثبات ہذہ البعثۃ وقد کثر فی القرآن الاستدلال علی النبوۃ بکونہا من اکبر مظاہر الدینونۃ ورحمۃ الرب وحکمہ بالعدل فانہ لم یقض علی العباد الا بعد ارسال الرسل وکذلک فی القیامۃ یقضی علیہم بشہادۃ رسلہم فبعثۃ الرسول دینونۃ فی الدنیا وقیامۃ صغریٰ فانہ عند ذلک فریق ینجو وفریق یہلک وینقطع عذرہم عند الدینونۃ الکبریٰ کما قال تعالیٰ [رسلا مبشرین ومنذرین لئلا یکون للناس علی اللہ حجۃ بعد الرسل] وہذا مبسوط فی موضعہ فعلی ہذا الاصل استدل بالوقائع الماضیۃ علی کلا الامرین اعنی ان الدین لابد واقع وان ہذہ البعثۃ جاءت حسب سنۃ اللہ تعالیٰ وجریانہا بالعدل وحسب قضائہ فیما تقدم من حکمہ الحکیم العادل وذلک اجمال القول فی العمود الذی اقسم علیہ ویتضح لک ما ذکرنا مما یتلوا الیٰ آخر الفصول۔

[التين والزيتون] انظر الفصل التالى [احسن تقويم] قوم الشئ جعله مستقيما قومت الرمح فاستقام ومن ههنا يراد به جعل الشئ مناسبا لغاية فهذا التقويم معنوى فهو مثل التسوية وكل خلق تسوية قال تعالى [الذى خلق فسوى] فلم يخلق الله تعالى خلقا الا لغاية فجعل خلقه مناسبا لتلك الغاية فعلى هذا اذ خص الانسان باحسن تقويم كان المراد منه خلقه مناسبا لاحسن غاية وذلك بان سواه على تركيب صالح لان ينفخ فيه روحه.

[رددنه] الرد ياتى على وجوه ومنها الاعادة الى الحالة الاولى كما قال تعالى [لو يردونكم بعد ايمانكم كفارا] اى يصيرونكم بعد ايمانكم كفارا مرة اخرى. وهذا قريب من اصل المعنى وهو كما قال تعالے [... يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خسرين]

[اسفل سافلين] اسفل اما هو حال عن ضمير المفعول فى [رددنه] او ظرف وعلى هذا يكون المعنى انا صيرناه مرة اخرى فى مقام اسفل كما ترى فى قوله تعالے [اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم] اى بمقام اسفل ولا فرق بين التاويلين من جهة المعنى واما التاليف فزعموا انه على الاضافة ولكنه يخالف العربية فان اضافة افعل اذا كانت الى نكرة فلا بد ان يكون المضاف اليه مفردا كما قال تعالے [ولا تكونوا اول كافر به] فالظاهر ان [سافلين] حال مستقل سواء كان [اسفل] ظرفا او حالا ولذلك جاء نكرة مع كونه جمعا وهذا اقرب ايضا من جهة التاويل فان موقع هذا الحال يدل على ان الانسان نفسه اختار السفل فكانه قيل ثم رددنا الانسان الى مقام اسفل والحال انهم كانوا ذاهبين بانفسهم الى السفل واما مجى الجمع بعد افراد الضمير فى قوله تعالى [رددنه] فلان المراد

بالانسان نوعه فجاء بالجمع رعاية للمعنى وهذا كثير ومنه قوله تعالى [متاعا لكم ولانعامكم] بعد قوله تعالى [فلينظر الانسان الى طعامه الخ] وقوله تعالى [افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير] وسترجع الى بيان تاويل اسفل سافلين فى الفصل الحادى عشر.

[الا] اوّلوها الى وجهين الاستثناء المتصل او الاستدراك والثانى هو الظاهر لما اردفها بالجزاء وكما فى قوله تعالى [فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر. الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر] وكما فى قوله تعالى [وحفظنٰها من كل شيطن رجيم. الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين] وسيأتيك بيان الفرق بين التاويلين فى الفصل الحادى عشر.

[ممنون] من منّ اذا قطع قال لبيد ع "دغبر كواسب لا يمن طعامها" غير ممنون اى دائم كما قال تعالى [لا مقطوعة ولا ممنوعة] وايضا [عطاء غير مجذوذ] وليس من المنة فانه لا نظير لذلك المعنى فى القرآن وكيف تنفى المنة فان كل اجر من الله فضل ومنة منه.

[فما يكذبك بعد بالدين] كذب بالشئ ضد صدق به وقد جاء فى القرآن كثيرا مثلا [ارءيت الذى يكذب بالدين] و [كلا بل تكذبون بالدين] و [كذبوا بلقاء الآخرة] و اما كذبه به فجاء ايضا قال تعالى [فقد كذبوكم بما تقولون] اى فيما تقولون. وفى كل ذلك نسب التكذيب الى الرجال واما ههنا فنسب الى غير ذوى العقول فاما ان يكون من قبيل نسبة الشهادة والنطق الى الاشياء كما قال تعالى [هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق] وعلى هذا كان المعنى فاى شئ بعد هذه الشهادات يشهد بانك كاذب فى قولك بوقوع الدين. واما ان يكون التكذيب بمعنى الحمل على التكذيب كما ذهب اليه الزمخشرى ولم اجد لهذا المعنى شاهدا فى القرآن ولا فى كلام العرب ولو ثبت لكان تاويلا واضحا. واما ان يكون بمعنى القاء الامانى والظنون كما قال افنون وهو جاهلى ؎

ولا خير فيما كذب المرء نفسه — وتقواله للشي ياليت ذا ليا

اي لا خير فيما يحدث المرء نفسه من الاماني والآمال الكاذبة وقال عبيد بن الابرص[٥]

والمرء ما عاش في تكذيب — طول الحياة له تعذيب

اي ما عاش في محض الاماني غير فائز بما يتمناه فطول الحياة عذاب عليه. فهذه ثلثة معان للتكذيب اذا كان متعديا واما بيان ما يكون التاويل ههنا فسياتيك في الفصل الثاني عشر ان شاء الله تعالى۔

[الدين] الدين هو الجزاء والدينونة من قولهم "دناهم كما دانوا" وقولهم "كما تدين تدان"، وقد جاء في القرآن كثيرا وقد مر آنفا بعض الشواهد.

(٣) (تعيين المراد بما اقسم به من المواضع)

لا يخفى عليك ان المقسم به انما ينظر اليه من جهة كونه دليلا وشاهدا وآية على ما اقسم عليه وقد مر ان المقسم عليه هو امر الدينونة فلا بد من اشتراك هذه الاسماء في هذه الجهة وستعلم في الفصول التالية ما وقع من الدينونة على هذه المواضع وذلك يدل على ان المراد بالتين والزيتون موضعان ليس الا وايضا قرن التين والزيتون بطور سينين والبلد الامين فدل بالنظم على كونهما اسمين لموضعين وايضا لا يخفى عليك انه كان من عادة العرب التذكر برؤية الديار وآثارها وكثر ذلك في كلامهم جدا فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو اقرب الى اذهانهم واوقع في نفوسهم وعلى هذا اكثر في القرآن التذكير بذكر البلاد كما قال تعالى [وتلك القرى نقص عليك من انبائها] وايضا في التوراة ما يطابق بهذا التاويل وسياتيك بيانه في الفصل التاسع وعلى هذا لا نغير معنى التين والزيتون وانما ناخذ بعض وجوه معنى واحد حسب سنة الكلام كما ستعرف وبذلك يرفع الاختلاف من بين قولين لعكرمة حيث قال مرة هو تينكم وزيتونكم ومرة انهما جبلان.

هذا. والآن نذكر ما هو المراد بهذه الأسماء. فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم لكونه منبت التين والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبت فيه كالغضى والشجر والنخلة وليس ذلك خروجا عن أصل معنى الكلمة وإنما هو استعمالها في بعض وجوهها بطريق تسمية الظرف بالمظروف. قال النابغة الذبياني من بني غطفان ؎

وهبت الريح من تلقاء ذي أرل   تزجي مع الليل في صرادها صرما
صهب الظلال أتين التين عن عُرُض   يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

أراد بالتين جبلا في الشمال. قال الأولون هو بين حلوان وهمذان وأما خلافهم من أبي حنيفة الدينوري فمستبعد لأن ذلك الموضع بعيد من بلاد غطفان فلا يلتفت إليه فإن الشعراء ربما ذكروا ما بعد عن بلادهم جدا وهذا النابغة نفسه ذكر كابل وسد ياجوج وتدمر فهل هذه في بلاد غطفان وجبل التين على قول الأولين ليس بهذا البعد فإنما هو على جانب من العراق وهم يذكرون الفرات ودجلة والخابور والخورنق والسدير. ولعل أبا حنيفة أخطأ معنى قوله «أتين التين» فظن أن النابغة أراد به الإتيان إلى بلاده وإنما هو أراد المرور فإنه يصف الريح الباردة الشمالية التي تزجي السحب الصهب القليلة الماء التي مرت بجانب جبل التين فازدادت برودة والعرب تذكر كثيرا هبوب الريح الباردة من جانب الشمال وهكذا يذكرون الجودي بالبرودة. قال أبو صعترة البولاني وهو جاهلي ؎

فما نطفة من حب مزن تقاذفت   به جنبتا الجودي والليل دامس
فلما أقرته اللصاب تنفست   شمال لأعلى مائه فهو قارس

فلما تبين أن النابغة أراد بالتين جبلا في الشمال ولعله هو الجودي أو قريب منه وكما أخطأ الدينوري في بيت النابغة فكذلك أخطأ صاحب معجم البلدان في بيت أبي صعترة فقال إنه أراد بالجودي موضعا في اليمن فظن أن الشاعر لا يذكر إلا بلاده وقد مر آنفا أن ذلك ظن باطل ولم يثبت أحد أن الجودي جبل في اليمن

وانما الجودی ہو الذی ذکرنا ویؤید ذلک ما روی عن ابن عباس فی تاویل ہذہ الآیۃ نفسہا ـ ان المراد بہ مسجد نوح الذی بنی علی الجودی وعن عکرمۃ التین والزیتون جبلان ۔ وعلی ہذا یتبین ان التین انما ہو الجودی او قریب منہ وفی التوراۃ ان بنی آدم تفرقوا بعد نوح علیہ السلام والقرآن یدل علی کونہ قریبا من الجودی فیستدل بذلک علی ان التین کان مسکن آدم وذریتہ ویؤیدہ ایضا ما جاء فی التوراۃ من ان آدم علیہ السلام کان یخصف علیہ من ورق التین ۔ ہذا ۔ واما الزیتون فایضا اطلق اسمہ علی منبتہ حسب سنۃ العربیۃ کما مر آنفا ۔ ولا یخفی ان المراد جبل الزیتون الذی کثر ذکر تفرعات المسیح علیہ ـ لوقا (۲۱: ۳۷) وکان فی النہار یعلم فی الہیکل وفی اللیل یخرج ویبیت فی الجبل الذی یدعی جبل الزیتون ـ وسیاتیک تفصیل ذلک فی الفصل السادس ویوافق ذلک اقوال السلف منا فقد روی عن ابن عباس رض وعن کعب ان الزیتون بیت المقدس وعن قتادۃ انہ الجبل الذی علیہ بیت المقدس (ابن جریر) واما طور سینین فمعروف ۔ لکن صورۃ الکلمۃ تستدعی بیانا فاعلم ان القرآن ذکرہ فی موضع آخر باسم (طور سیناء) فمرۃ اتی بہا علی التانیث ومرۃ علی جمع السلامۃ فدل علی ان التانیث انما ہو لکونہ وصفا للجمع کما تقول جمعاء واجمعون وفی التوراۃ جاء سینا وسینیم وفی العبرانیۃ "یم" علامۃ الجمع وقال بعض علماء اہل الکتاب ان سینیم اسم ارض الصین بدلیل انہ اسم ارض بعیدۃ عن فلسطین وہذا الدلیل کما تری ۔ واما البلد الامین فلا حاجۃ الی بیانہ وانما لم یقل مکۃ لیکون اوضح فی الدلالۃ علی وجہ الاستشہاد کما یاتیک ذکرہ فی الفصل الثامن ان شاء اللہ تعالے

(۴) الاصل الکلی فی وجوہ الاستشہاد بہذہ البقاع الاربع

قد مر ان المقسم بہ فی الاستشہاد لا ینظر الیہ الا من جہۃ ما یکون آیۃ وشہادۃ

على المقسم عليه وقد علمت مجملا ان المقسم عليه في هذه السورة هو امر الدينونة فالآن ننظر الى هذه البقاع من هذه الجهة لاغير. واعلم ان الشي الواحد ربما يستشهد به من وجوه كثيرة فلاحاجة الى حصر الوجوه وقد جاء في القرآن الاستشهاد بشي واحد من جهات شتى مثلا استشهد بالمطر من جهة على الربوبية ومن جهة اخرى على البعث بعد الموت وربما يصرح بكثرة الوجوه كما قال تعالى [هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيت] فجعل فيها آيات لا آية واحدة وكذلك قال تعالى [ان في اختلاف الليل والنهار لآيت] وقال تعالى [وفي الارض آيت للموقنين. وفي انفسكم افلا تبصرون.] وهذا كثير ظاهر. ومع ذلك اذا اقسم بشي على امر فعند ذلك لا يؤخذ من جهات المقسم به الا ما كان شاهدا على المقسم عليه. وبعد ما تبينت هذا الاصل فاعلم ان هذه البقاع الاربع مواضع لظهور الدينونة الدالة على ان الرب تعالى يدين الانسان بالرحمة. والعدل حسب اعماله فهذا هو الاصل الكلي في النظر في وجوه الاستشهاد بهذه البقاع واما تفصيل ذلك فنذكره في الفصول الآتية.

(۵) (وجه الاستشهاد على الدينونة بالتين)

اعلم ان التين هو اول موضع لظهور الدينونة على الانسان وذلك بان آدمؑ لما نسي عهد الرب وسمع لقول حاسده وقعت عليه وعلى زوجه الدينونة فاهبطا بعد الرفعة وسلبا لباس الجنة كما قال تعالى [فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة] وجعل الله تعالى ذلك الامر تذكارا وموعظة لنسله فقال تعالى [يٰبني آدم لا يفتننكم الشيطن كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما] وقد صرح في التوراة بان الشجرة التي خصفا عليهما من ورقها كانت شجرة التين ثم عند ذلك تابا الى الرب وتاب الرب عليهما ووعدا بانزال هدية واجر من تبعه من ذريته فاعطاه عهدا ثانيا فواقعة التين جمعت السلب والعطاء. الاول لنسيانه العهد الاول والثاني لانابته الى الرب. وكذلك وقعت الدينونة على نسل في عهد نوح

عليه السلام عند جبل التين فاهلك الظالمون وبورك الباقون كما قال تعالى [وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين] ثم بعد ذكر دعاء نوح قال تعالى [قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم] اى جعلنا السلام والبركات لك وللمؤمنين معك واما الآخرون فلهم ايضا متاع من الدنيا قليل ثم عذاب اليم.
فصار التين آية وتذكرة لما وقع على الانسان من الدينونة وقضاء الرب تعالى. وذكرها باسم التين بدل السعير احسن لما هو اوضح دلالة على واقعة هي اقدم واوسع من واقعة الطوفان، ثم في هذا الاسم دلالة آخرى وسياتيك ذكرها.

(٦) (وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون)

اعلم ان الزيتون قد وقعت عليه الدينونة العظمى من سلب الامانة والناموس من اليهود واعطائها لدوحة آخرى من شجرة ابراهيم اذ وقع ما وقع في آخر عهد المسيح في ليلة سهرها على جبل الزيتون وقد ناجى الرب الى السحر ويئس من قومه فحزن غاية الحزن لما علم ان اليهود يهمون بقتله وبذلك يلعنون ويسلبون الامانة فتعطى لامة جديرة بها كما صرح به المسيح حيث قال: متى (٢١ : ٤٢) " اما قرأتم قط في الكتاب الحجر الذي رفضه البناؤن هو قد صار راس الزاوية - من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في اعيننا (قوله الحجر الى قوله في اعيننا منقول من مزمور (١١٨ : ٢٢ - ٢٣) ثم فسر المسيح ذلك فقال) ٤٣ لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل اثماره. ٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" فهذا نزع ملكوت الله وقع على جبل الزيتون ويتبين ما ذكرنا مما جاء في الاناجيل ففي الانجيل المنحول الى لوقا (٢٢ : ٣٩ - ٥٢) " وخرج ومضى كالعادة الى جبل الزيتون وتبعه ايضا تلاميذه ٤٠ ولما صار الى المكان قال لهم صلوا لكيلا تدخلوا في الفتنة (اى الفتنة العظمى التي

تأخذ اليهود عن قريب فيلعنون بها كما جاء في القرآن [وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم] فلما بلغوا المنتهى حقت عليهم كلمة اللعنة والطرد) ٤١ وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى ٤٢ قائلا يا رب ان شئت ان تجيز عني هذه الكاس ولكن لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك . ٤٣ وظهر ملك من السماء يقويه ٤٤ واذ كان في جهاد كان يصلي باشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض ٤٥ ثم قام من الصلوة وجاء الى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن ٤٦ فقال لهم لماذا انتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة - ٤٧ وبينما هو يتكلم اذا جمع والذي يدعى يهوذا واحد من الاثني عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله ٤٨ فقال له يسوع يا يهوذا البقبلة تسلم ابن الانسان - ٤٩ فلما رأى الذين حوله ما يكون قالوا يا رب انضرب بالسيف - ٥٠ وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع اذنه اليمنى - ٥١ فاجاب يسوع دعوا الى هذا ولمس اذنه وابرأها ٥٢ ثم قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه - كانه على لص خرجتم بسيوف وعصي . ,,

ولهذه الواقعة اللطيفة ذكر في مرقس ومتى وفي البعض ما لم يذكر في الآخر فنجمع لك ما يتم به اطراف هذه القصة ولا تملن اطناب الكلام فان الواقعة مهمة جدا ففي مرقس (١٤ : ٣٣ - ٤٢) " ثم اخذ معه بطرس (اي شمعون الصفا) ويعقوب ويوحنا و ابتدأ يدهش ويكتئب - ٣٤ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت امكثوا ههنا و اسهروا - ٣٥ ثم تقدم قليلا وخر على الارض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان امكن - ٣٦ وقال يا ابا الاب كل شئ مستطاع لك فاجز عني هذه الكاس ولكن ليكن لا مشيئتي بل مشيئتك - ٣٧ ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان انت نائم اما قدرت ان تسهر ساعة واحدة - ٣٨ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف - ٣٩ ومضى ايضا وصلى قائلا

ذلک الکلام بعینہ۔ ۴۰ ثم رجع و وجدہم ایضا نیاما اذ کانت اعینہم ثقیلۃ فلم یعلموا بما ذا یجیبونہ (ای علی توبیخہ ایاہم)۔ ۴۱ ثم جاء ثالثۃ وقال لہم ناموا الآن واستریحوا (ای قد حم الامر و وقعت علی الیہود سیآت ما کسبوا وانا لم آل جہدا فی دعائی لہم کابنہ فقال) یکفی۔ قد اتت الساعۃ،، والباقی یشبہ ما قدم۔

وفی متی (۲۶: ۳۶-۴۵) مایشبہ ذلک غیر ان فیہ ،، ثم تقدم قلیلا وخر علی وجہہ وکان یصلی۔۔۔ ،، فصرح بالسجود وفی لوقا اکتفی بذکر الرکوع فقط۔ واما یوحنا فلم یذکر صلوۃ المسیح ولکن ذکر فی ہذا الموقع من کلامہ علیہ السلام مالم یذکرہ غیرہ مع زیادات من الکذب فنذکر منہ مایدل علی کون ہذا الکلام عند تلک الحادثۃ وعلی الطرف الآخر من قضاء اللہ علی قوم الیہود وہو طرف الرحمۃ من الدنیویۃ والاخرویۃ للرب لمن یومنون فی الآخرین تلین قلوبہم کما کثر ذکرہ فی التوراۃ وصرح بہ القرآن فی سورۃ الاعراف وہو قولہ تعالیٰ [قال عذابی اصیب بہ من اشاء ورحمتی وسعت کل شیئ فسا کتبہا للذین یتقون ویوتون الزکوۃ والذین ہم بآیتنا یومنون۔ الذین یتبعون الرسول النبی الامی الذی یجدونہ مکتوبا عندہم فی التوراۃ والانجیل یامرہم بالمعروف وینہہم عن المنکر ویحل لہم الطیبت ویضع عنہم الاصر والاغلال التی کانت علیہم فالذین آمنوا بہ وعزروہ ونصروہ واتبعوا النور الذی انزل معہ اولئک ہم المفلحون۔] ففی یوحنا (۱۲: ۲۳-۳۶) ،، واما یسوع فاجابہما قائلا قد اتت الساعۃ لیمجد ابن الانسان۔ ۲۴ الحق الحق اقول لکم ان لم تقع حبۃ الحنطۃ فی الارض ولبقیت فہی تبقی وحدہا ولکن ان ماتت تاتی بثمر کثیر۔ ۲۵ من یحب نفسہ یضیعہا ومن یہین نفسہ فی ہذا العالم یحفظہا الی حیوۃ ابدیۃ۔ ۲۶ ان کان احد یخدمنی فلیتبعنی وحیث اکون انا ہناک ایضا یکون خادمی۔ وان کان احد یخدمنی یکرمہ الرب۔ ۲۷۔ الآن نفسی قد اضطربت وماذا اقول

(كان اضطرابه لامرين شقوة اليهود به واهانته بايديهم والاول قد علم انه لابد واقع والثاني كان لامرين خوف ذلة الحق امام الباطل وخوف فتنة الناس بذلك كما جاء في القرآن في ذكر دعاء المؤمنين عند خوف غلبة الباطل. [ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظلمين ونجنا برحمتك من القوم الكفرين] ايضا [ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا] كما يبين ذلك ما يتلوه فقال) ايها الرب نجني من هذه الساعة ولكن لاجل هذا اتيت الى هذه الساعة - ۲۸ ايها الرب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وامجد ايضا - ۲۹ فالجمع الذي كان واقفا وسمع قال قد حدث رعد وآخرون قالوا قد كلمه ملاك - ۳۰ اجاب يسوع وقال ليس من اجلي صار هذا الصوت بل من اجلكم (اي يرفعني ربي ولا تصل الى ايدي الظالمين لكي تحفظوا عن الفتنة) - ۳۱ الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا (المراد بالعالم ههنا اليهود والمراد بطرح رئيسهم طرح اتباعه معه وقوله خارجا اي عن منصب حمل الشريعة فانهم هناك طردوا عن القيام امام الرب) - ۳۲ وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب الى الجميع ۳۳ قال هذا مشيرا الى آية ميتة كان مزمعا ان يموت (هذه زيادة من الرواة وهي باطلة فان المسيح انما قال ان ارتفعت ولم يقل ان مت وكذلك في سائر اقواله) - ۳۴ فاجابه الجمع نحن سمعنا من الناموس ان المسيح يبقى الى الابد فكيف تقول انت انه ينبغي ان يرتفع ابن الانسان من هو هذا ابن الانسان - ۳۵ فقال لهم يسوع النور معكم زمانا قليلا بعد (هذا التشير الى ذهاب كتاب الله من عندهم بعد زمان حتى جاء ذاك النور مع النبي الذي بشر به المسيح والى هذا التشير ما جاء فيما مر آنفا من سورة الاعراف وهو قوله تعالى [واتبعوا النور الذي انزل معه] فارجع اليه) فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام والذي يسير في الظلام لا يعلم الى اين يذهب - ۳۶ ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور تكلم يسوع

بهذا ثم مضى واختفى عنهم،، هذا اصح وجه للقصة ولم يذكره غير يوحنا وهو صريح في ان المسيح
غاب عن الناس ولم تقع عليه ايدي اليهود واري ان اختفاءه كان آخر القصة
ولكن اختلطت الروايات وقدموا واخروا من غير علم. ايضا (١٦: ٥-١٣) واما الآن
فانا ماض الى الذي ارسلني وليس احد منكم يسألني اين تمضي - ٦ لكني لاني قلت
لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم - ٧ لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق. لانه ان لم انطلق
لا يأتيكم المعزي ولكن ان ذهبت ارسله اليكم - ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم
على خطية وعلى بر وعلى دينونة - ٩ اما على خطية فلانهم لا يؤمنون بي - ١٠ واما على بر فلاني
ذاهب الى ربي ولا ترونني ايضا - ١١ واما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد
دين (اي يلعنهم اليهود ويثلثه امور: عدم ايمانهم بالمسيح الذي جاء مصدقا للتوراة وطهارته
وبرائته منهم وخذلانهم، الذي عبر عنه بقوله، الآن دينونة هذا العالم - الآن يطرح رئيس
هذا العالم خارجا،، كما مر آنفا -) ١٢ ان لي امورا كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون
ان تحتملوا الآن - ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه
لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بامور آتية،،
ايضا (ص ١٦ ف ٢٠) الحق الحق اقول لكم انكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. انتم
تحزنون ولكن حزنكم يتحول الى فرح - ٢١ المرأة وهي تلد تحزن لان ساعتها قد جاءت
ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة بسبب الفرح لانه قد ولد انسان في العالم،
تمثل زمان غيبته بزمان المخاض وزمان ظهور النبي الموعود بزمان الولادة. ايضا (١٦:
٣٢) هوذا تأتي ساعة وقد اتت الآن تتفرقون فيها كل واحد الى خاصته وتتركوني
وحدي وانا لست وحدي لان الرب معي،، بعد ذلك ذكر كلامه بالرب ثم ذكر
قصة هجوم الكهنة عليه ودلالة يهوذا. مشابها لما في الاناجيل الاخر، ولا شك انه زيادة
غير صحيحة بعد ما قال انه مضى واختفى عنهم، وكما ذكرنا يتبين للمتأمل ما وقع من الزيادة

المطلي على تبعة الزيتون- طرد قوم ودعى قوم ثم يدعى التابعون من الاول فكان اختلاط الرحمة والنقمة والنور والظلمة وعند ذلك تسكب العبرات وتصعد الزفرات وترى المسيح هناك كالشمع في آخر ذوبانه وشدته وهيجانه. افرغ جهده لقومه ثم غمه اليأس ثم سكنه الرجاء فاضطرب تحت عواصف الهموم كالبحر المتلاطم ثم سفى الزيتون الماع الى دينونة اخرى مع نوح عليه السلام وسياتيك ذكرها۔

(۷) (وجه الاستشهاد على الدينونة بطور سينين)

واما طور سينين فلا يخفى ان الله تعالى اعطى عليه الامانة امة ضعيفة قد صبرت على ظلم اعداء الله فانجاها من ايديهم بيد قوية ورفع امرها ودان عدوها ثم اعطاها ناموسا ذا باس شديد على الظالمين الكافرين فكان هذا العطاء العظيم رحمة على الضعفاء وانتقاما من الاقوياء وكان ايضا اجر اللعابدين وجزاء للكافرين وهذا يتبين لك مما جاء في القرآن والصحف الاولى. ففي القرآن في ذكر فرعون وقومه [فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين. فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين] وايضا [وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.] وايضا [ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين. ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون.] واما الصحف فقد صرحت بان الله تعالى رحم على بني اسرائيل ليدين به الكفار وليتم به ما وعد اباهم الصالحين من البركة والنعمة. ففي سفر التثنية (۷: ۷ ليس من كونكم اكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم- لانكم اقل من سائر الشعوب ۸ بل من محبة الرب اياكم

وحفظ القسم الذي اقسم لآبائكم اخرجكم الرب بيد شديدة وفدا كم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر ٩ فاعلم ان الرب الهك هو الله الاله الامين الحافظ العهد والاحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه الى الف جيل ١٠ والمجازي الذي يبغضونه بوجوههم ليهلكهم لا يمهل من يبغضه بوجهه يجازيه ،، و ايضا (٩: ٥ ليس لاجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك ارضهم بل لاجل اثم اولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من امامك ولكي يفي بالكلام الذي اقسم الرب عليه آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب + ٦ فاعلم انه ليس لاجل برك يعطيك الرب الهك هذه الارض الجيدة لتمتلكها لانك شعب صلب الرقبة + ٧ اذكر لا تنس كيف اسخطت الرب الهك في البرية من اليوم الذي خرجت فيه من ارض مصر حتى اتيتم الى هذا المكان كنتم تقاومون الرب .،، ثم ذكر اتخاذهم العجل حين ذهب عنهم موسى وصعد الى طور سيناء لاخذ لوحي العهد. فمما ذكرنا يتبين ان الله تعالى دعا موسى الى الطور لاجل اتمام النعمة على ذرية الصالحين ليمكن بهم في الارض ليكونوا شهداء لله بالدين الحق ويهلك بهم المفسدين الكافرين فكان ذلك دينونة رحمة ونقمة وثواب وعذاب ليعلموا انه هو العزيز الرحيم الديان الحكيم ۔

(٨) (وجه الاستشهاد على الدينونة بهذا البلد الامين)

اعلم ان الدينونة التي وقعت في مكة كانت اوسع رحمة للناس وباقية الى القيامة وبيان ذلك ان الله تعالى لما ابتلى ابراهيم عليه السلام بكلمات فاتمها وبعهده فوفى حتى قرب في آخر عمره بكره الوحيد البار السعيد اسمعيل فحينئذ بارکه الرب وبشره باسحق واعطاه عهدين في ذريته منهما . فاما عهده في اسحق عليه السلام فاتمه حين دعا موسى عليه السلام الى الطور واعطاه الكتاب المبين

ثم استمر على علاّت اليهود حتى امتلأت كاسهم حين هموا بقتل آخر انبيائهم فنزعه عنهم كما مر
وكان فيه دينونة مخففة بطائفة من بني آدم والى زمان . واما عهده في اسمعيل فاوخره
يتم به النعمة للصالحين والنقمة للجاحدين من الناس اجمعين . فجعله تمام الدينونة التشريعية
حتى تأتي الدينونة الآخرة يوم القيامة يوم الفصل التام . ولا بد للاتمام والاكمال ان يأتي
في الآخر ولكنه موعود ومنتظر من اول الامر . واتى بهذا البشير كثير مما جاء في الصحف الاولى
والقرآن مثلا «الحجر الذي رفضه البناؤن صار رأس الزاوية . من قبل الرب
كان هذا وهو عجيب في اعيننا ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه»
وقد ضرب المسيح امثالا كثيرة لهذه الدينونة المنتظرة وسماها ملكوت الله . وصرح بان [illegible]
الآخرون الاولون فقال في مثل الاكارين كما جاء في متى ص ٢٠ ... ١٦ «هكذا يكون
الآخرون اولين والاولون آخرين» ، وكذلك صرح بان اتمام الحق . لتم يكون
عند ذاك كما آنفا . واذ كان الامر كذلك جعل مركز هذا العهد بلدا امينا محفوظا عن ارادة
واختار له خير امة ليكونوا شهداء الله على جميع اهل الارض وبعث فيه نبيا على كافة
الناس واتم به الشرائع والحكمة لكيلا يبقى للناس حجة بعد ذلك عند دينونة
في القيامة وبين القرآن هذه الامور في مواضع فمنها قوله تعالى [واذ ابتلى ابرهيم
ربه بكلمت فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظلمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى . وعهدنا الى ابرهم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع
السجود . واذ قال ابرهم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات
من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار
وبئس المصير . واذ يرفع ابراهم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك
انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا

مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ٥ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم، انك انت العزيز الحكيم] فاتم الله عهده بابراهيم وجعله اماما للناس بما عهد اليه والى اسمعيل ان طهرا بيته وجعله مثابة للناس وامنا واستجاب دعاءه فبعث فيه رسولا وكل ذلك لما وجده كاملا في العبودية وفي التوراة ان الله وعده بان يبارك به الامم فوقع جميع هذه الامور ببركته هذا البلد مامونا من عهد ابراهيم والمخاطبون قد علموا ذلك وقد شهدوا كيف اهلك الله اصحاب الفيل حين راموا كيد خلاف هذا البلد. هذا واما مركز عهده في ذرية اسحق فدارت عليه وعلى اهله الدوائر وصرح بذلك في الصحف كثيرا وتجد ذكره في تفسير سورة الفيل. ولا يخفى ذلك على من نظر في الصحف الاولى، ومما ذكرنا تبين ان المدينة التي وقعت في هذا البلد من السنة والحسنى والحمد لله في الآخرة والاولى. فجملة ما ذكرنا في هذه السورة ان الله تعالى ذكر هذه المواضع لكونها شاهدة بدينونته تعالى في الدنيا وجزائه اياهم حسب اعمالهم ليبين لهم ان ربهم لم يخلقهم سدى ولم يغفل عن امرهم فانزل اليهم الكتاب والذكرى واكثر لهم من النذر والبشرى ونبأهم ما يجزون به حسب ما اودع فطرتهم من الاستعداد للرقي الى مدارج الكمال فجعل ذلك دليلا على وقوع الدين في الآخر كما قدمنا ذكره في الفصل الاول

(٩) (نظير ذلك في التوراة وتحقيق مقام سعير)

قد جاء في التوراة ما هو في غاية المشابهة باوائل هذه السورة ونذكره لما فيه تصريح ببعض ما ذكرنا. سفر التثنية (٣٣: ١-٤) "١ وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته فقال - ٢ جاء الرب من سيناء - واشرق لهم من سعير - وتلألأ من جبل فاران - واتى من ربوات

القدس - وعن يمينه سنة نار لهم - ۳ فاحب الشعب (لبعد ذكر ذلك التفت مخاطب
الرب قائلا) جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من اقوالك - ۴ بناموس
اوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب ،، وبعد ذلك دعا لقومه بالبركة وكان ذلك آخر كلامه
ولا يخفى على المتدبر ان في تقديم هذه الجمل قبل البركة اشعارا بان الله تعالى لم يزل يعطي البركة
للذين اطاعوه ويتجلى لهم برحمته فكذلك يبارك هذا الشعب اذا اطاعوه ويتقبلوا ما انزل
اليهم من احكام الرب ووصاياه . واذا تبين لك هذا استبان لك ما في هذا الكلام
من المشابهة بما ذكرنا من التاويل ومن ان المراد بهذه الاسماء هي مشاهد ظهور الرب
بافعاله سواء كانت هذه المواضع الاربع مطابقة بالاربع التي في هذه السورة كل المطابقة
او بعضها والتامل يهدي الى المطابقة التامة فان المطابقة بين الثلاثة من هذه الاربع
ظاهرة جدا . فانه لا يخفى ان سيناء اسم آخر لطور سينين وفاران اسم لجبال
مكة باتفاق اهل العلم منا وفي التوراة شواهد على ذلك كما هو مبسوط في تفسير جزء الصفت
وابواب القدس عبارة عن جبال القدس التي كثر ذكرها في الاناجيل كجبل الزيتون
فظهر بهذا البيان المطابقة بين التين وسعير . ونذكر لك ما يؤيد ذلك والله اعلم .
قد مر في الفصل الثالث ان التين هو اول مسكن بني آدم وهو ابجدي او قريب
منه فالآن نقول ان سعير حسبما جاء في صحف اليهود اسم لجبال ادوم التي نهي
بنو اسرائيل عن تملكها وهي بلاد فسيحة الارجاء كثيرة الملوك والقبائل ويزعمون
بان ادوم سمي به عيص بن اسحق وان معناه الحمرة وانه كان احمر قويا شديد البطش
وادوم وبنو ادوم هم اولاده سكان سعير وآما موضعه فالتبس عليهم مثل كثير من
مواضع البلاد كما اعترف به علماؤهم وذلك بانهم جمعوا الروايات المتناقضة
فمع ظهور انهم يجعلونه في جنوب الشام تراهم يذكرون ايضا ما يدل على كونه
في الشمال والمشرق من بلادهم ففي سفر العدد (۳۴ : ۶) " وهذا يكون لكم

تخم الشمال - من البحر الكبير (اي بحر الروم) ترسمون لكم الى جبل هور،، وجبل هور فے طرف ادوم كما جاء في سفر العدد (٣٣ : ٣٧) «ونزلوا في جبل هور في طرف ارض ادوم ويتبين من هذا ان الخط الذي يمر من البحر الكبير الى الشرق يبلغ ارض ادوم على جانب الشمال والشرق من ارض بني اسرائيل وذلك يطابق بما ذكرنا من موضع التين - ويؤيد ذلك امور الاول انهم يذكرون ان ادوم ماخذه الادمة وذلك هو الماخذ لاسم آدم عليه السلام فالاقرب ان ادوم سمي بهذا الاسم لما كان مسكن بني آدم - والثاني انهم يذكرون ان ادوم هو اسم آخر لسعير في العبرانية هو الطوفان فالاقرب ان الجودي سمي بسعير وكان عنده مسكن بني آدم الى ان تفرقوا بعد ما كثر اولاد نوح عليه السلام والثالث انا لا نجد في صحفهم امرا عظيما وقع على موضع يزعمون انه المراد باسم سعير فالاقرب ما ذكرنا من مطابقة التين بسعير وادوم - ذلك - والله اعلم

(١٠) (نظرة في النظيرين من جهة النظم والبيان)

بعد ظهور المطابقة بين النظيرين لعلك تسأل عن وجه الاختلاف بينهما في ترتيب هذه الاسماء فاعلم انه كثر في القرآن والتوراة ذكر الامور نفسها على انحاء من الترتيب ولكل وجه صحيح - والآن ندلك على وجه الترتيب ههنا حسبما يظهر والله تعالى اعلم - اما القرآن فروعي فيه ترتيب الزمان والمكان وجمع المثل بالمثل وذلك بان تقدم الديونة الآدمية لتقدمها زمانا ثم اردفها الديونة المسيحية لما بين آدم والمسيح عليهما السلام من المماثلة كما قال تعالى [ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم] وايضا شجرة التين جعلت تذكرة للسلب لعطاء فانها تعرى زمانا ثم تلبس وتثمر فصارت آية لما وقع على آدم وذريته كما مر في الفصل الرابع وكذالك المسيح عليه السلام ضرب شجرة التين في غير

او ان ثمرها مثلا لذهابه وشقوته انه به وبهذا يظهر للتدبر مما جاء في متى (۲۱: ۱۸-۱۹)
ومرقس (۱۱: ۱۱-۱۹) ولوقا (۱۱: ۱-۱۹) ثم جعلها مثلا وهي مورقة لمجيئه وسعادة قومه
كما هو مصرح به في متى (۲۴: ۳۲-۲) ومرقس (۱۳: ۲۸-۲۹) ولوقا (۲۱: ۲۵-۳۱)
ثم ذكر الديونة الموسوية وارد فيها الديونة المحمدية لما بين موسى ومحمد عليهما الصلوات من المماثلة
كما هو ظاهر وكما قال تعالى [انا ارسلنا اليكم رسولا كما ارسلنا الى فرعون رسولا] وكما جاء
في البشارة المشهورة لنبينا صلى الله عليه وسلم في سفر التثنية (۱۸: ۱۸) " اقيم لهم نبيا
من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه ۱۹ ويكون ان الانسان الذي
لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي انا اطالبه " فانظر كيف راعى الترتيب الزماني بين آدم وموسى
وارد فيها تمثيلها بجعل النظم كالجمان المفصل. ثم انظر كيف جعل هذه البقاع مع رعاية المناسبة
المعنوية مرتبة حسب المكان فان التين اقصاها في الشمال والمشرق ثم جعل الزيتون في الشام
ثم الطور في المغرب والجنوب ثم مكة في اقصى الجنوب وهكذا كان مسير ابراهيم عليه السلام
في هجرته من اور الكلدانيين الى كنعان ومصر حتى انتهى الى مكة. وتقدم في الفصل الرابع
ان موضع التين هو الذي وقعت عنده الديونة في عهد نوح عليه السلام وكذلك مكة موضع
عهد الرب بابراهيم عليه السلام الذي دعا ان يجعلها الرب بلدا امينا وذكرها ههنا بهذا
الاسم يلمح الى ذلك فصارت الآية جامعة لما اظهر الرب من الديونة في عهد آدم
ونوح وموسى وعيسى وابراهيم ومحمد عليهم الصلوة. ونظير ذلك قوله تعالى [ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العلمين] فخص هؤلاء بالذكر.
ولا يخفى ما في جمع التين بالزيتون وطور سينين بالبلد الامين ايضا من المناسبة
الظاهرة جمعا وفرقا. وايضا في قران التين بالزيتون مناسبة اخرى لطيفة وذلك
بان في الزيتون ايضا ايماء الى بركات نوح ع وبيان ذلك ان نوح عليه السلام
بشر بنشف المياه بالزيتون كما جاء في سفر التكوين (۸: ۱۰) فلبثت ايضا سبعة

ایام اخر و عاد فارسل الحمامة من الفلک۔ ۱۱ فاتت الیه الحمامة عند المساء و اذا ورقة زیتونة خضراء فی فمها۔ فعلم نوح ان المیاہ قد قلت عن الارض،، و ما ذکرتبین ما فی ہذا الترتیب من المناسبة من وجوہ کثیرة۔ واما التوراة فالمخاطبون بہا البسطاء فبالغ فی التصریح فقال جاء الرب ۲ فی التصویر فقال اشرق و تلألأ فعلی ہذا الاصل ذکر الاقرب فالاقرب۔ فقدم طور سینا ء ثم تقدم خطوة فذکر سعیر موضع دیونة امة نوح ثم رجع فذکر من کان مثل موسیٰ وکان ظہورہ من فاران و قد بشر ہم بہ و عرفہ لہم کل التعریف ثم مثل الاول تقدم خطوة فذکر من کان قبلہ آتیا من ربوات القدس واذ کانوا صلب الرقاب راعی جانب التخویف فذکر التین باسم سعیر د لالة علی موضع الطوفان وکذلک ختم الذکر بقولہ "وعن یمینہ سنة نار لہم،، فراعی فی ہذا الکلام ایضا وجہ البلاغة حسب مقتضی الحال ولکل حال مقال وتختلف الصور مع اتحاد المعنی واللہ تعالی اعلم و علمہ احکم۔

(۱۱) (فی تاویل المقسم علیہ وہو قولہ تعالی [لقد خلقنا الانسان۔ غیر ممنون])

قد سبق فیما مر ان المقسم علیہ ہو امر الدینونة وقد اقسم علیہا فی سور اخر و جعلہا اکبر مطالبہا فلا نذکرہہنا الا ما نحتاج الی ذکرہ فی ہذہ السورة فاعلم ان اللہ تعالی جعل الرحمة اصل کل ما یفعل بعبادہ فاعطی الانسان اولا احسن تقویم وہذہ العطیة تلزمہا الدینونة کما وصفت ولکنہ تعالی مہد لہ منہا سبیلا الی رحمة ہی اکبر و اتم فالرحمة کما ہی اصل الدینونة وبذرہا فکذلک ہی فرعہا وثمرہا وعلی ہذا الاصل ذکر فی المقسم ثلاث مراتب الانسان اولہا و وسطہا وآخرہا و اخبر عن عموم حالہ من حیث نوعہ جملة۔ ۱وقصة آدم علیہ السلام مرآة لذلک۔ و بیان ہذا الاجمال ان اللہ خلق الانسان فی غایة الحسن من الخلقة علی طریق مستقیم من الفطرة حرا کاملا ملہما

بالخیر والشر مختار انی الارادة والفعل کما قال تعالیٰ [ونفس وما سوٰہا فالھمہا فجورہا وتقوٰہا] لکی یکبح جانب الفجور من نفسہ ویختار جانب التقوی فیطیع ربہ بعد الحریۃ وذلک ارفع منزلۃ من طاعۃ من فطر علیہا وسخر لہا فذلک قولہ تعالیٰ [لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم] فکون الانسان فی احسن تقویم ہو وضعہ بین المتقابلین المتضادین من المیل الی الخیر والشر مع العلم بہما والاختیار بینہما وجعل حب الخیر اصل فطرتہ وذلک بان تربیۃ القوی وابرازہا واکمالہا منوط بالجہد والکدح ولابد للاختیار من ہذہ المشقۃ لیخلص النضار من الخبث وہو المراد من التزکیۃ والابتلاء ولو لا ہذا الجہد والکد لما ترقی الانسان الی ذروۃ الکمال الذی اودع اللہ فطرتہ وجعلہ بذلک احسن خلقہ علما وعملا وحکمۃ وزکاۃ . وآدم من علیہ ربہ بالاختیار وعاملہ معاملۃ الاحرار فاخذ منہ عہدا للطاعۃ وبذلک صار موقعا للدینونۃ فلما نسی العہد لقلۃ عزمہ کما قال تعالیٰ [ولقد عہدنا الی آدم من قبل فنسی ولم نجد لہ عزما] تصدی للدینونۃ فذلک قولہ تعالیٰ [ثم رددنٰہ اسفل سافلین] ولکنہ تعالیٰ اذ فتح لہ غرفۃ الہام الفجور والتقوی تدارکہ بوحی التوبۃ کما قال تعالیٰ [فتلقی آدم من ربہ کلمٰت فتاب علیہ] فنہض الانسان بعد ہبوطہ احسن مما کان فاجتباہ ربہ کما قال تعالیٰ [وعصی آدم ربہ فغوی ثم اجتبٰہ ربہ فتاب علیہ وہدی] وہذہ دینونۃ ثانیۃ وکما ان الاولی لم تکن مختصۃ بآدمؑ بل عمت ذریتہ فکذلک جعل ہذہ الثانیۃ عامۃ فان کل من تاب بعد الزلۃ تاب اللہ علیہ ویہدیہ کما قال تعالیٰ [قلنا اہبطوا منہا جمیعا فاما یاتینکم منی ہدی فمن تبع ہدای فلا خوف علیہم ولا ہم یحزنون] فکما عرض وحی التوبۃ علی آدمؑ فکذلک یعرضہ علی ذریتہ بواسطۃ الانبیاء فمن تلقاہ کان علی سنۃ آدم واوتی ما سلب بل ما ہو خیر وابقی فکذلک قولہ تعالیٰ [الا الذین آمنوا وعملوا الصلحت فلہم اجر غیر ممنون] فہذہ ثلاث مراتب فی احوال الانسان . ویشبہ ہذہ الایات قولہ تعالیٰ [انا عرضنا الامانۃ

على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا (ظلوما من جهة العمل فاجترء على امر عظيم فظلم نفسه واوردها مهالك وجهولا من جهة العلم فتجاسر على امر لو تبينه وعلم كنهه لاشفق منه ولكن لولاهما لما ترقى فان كل فوز في المخاطرة كما ذكر نتيجة ذلك فقال تعالىٰ) ليعذب الله المنفقين والمنفقت والمشركين والمشركت ويتوب الله على المومنين والمومنت وكان الله غفورا رحيما] فكان احتمال الانسان الامانة لكمال استعداده وكان ظلمه وجهله لما انطوى هذا الاستعداد على الزلة والعقبات والنهوض فيتوب الله على من انتعش بعد العثرة مثل آدم فيفوز بالاجتباء -

وبما ذكر تبين ان هذه الآيات الثلاث جامعة لتمام قصة الانسان ودنيونته من اول خلقه الى نهاية مبلغه وناظرة الى حالة آدمؑ وهبوطه مع ذريته - وعلى هذا يفهم من [اسفل سافلين] حالتهم حين ارجعوا الى هذه الدار الدنيا وحينئذ حرف [الا] للاستدراک اى ولكن المومنين تيرقون بعد الهبوط فيفوزون باجر دائم - واما من فهم من [اسفل سافلين] حالة الكفار فقط جعل الاستثناء متصلا اى بعد خلق الانسان في احسن تقويم رددناهم اسفل سافلين غير الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهولاء لم يردوا من الحالة الاولى. ولا يخفى ان هذا التاويل الاخير ضيق وبعيد لكونه غير مطابق بعموم خلق الانسان ولا ناظر الى قصة آدمؑ وهبوطه مع ذريته فان الرد حينئذ يكون مخصوصا بالكفار - واما التاويل الاول فهو اوسع واتم ويؤيده ما ذكرنا من نظيره فان قوله تعالى [انه كان ظلوما جهولا] غير مختص بالكفار ثم فرق بين الكافرين والمومنين - واعلم ان كلا هذين التاويلين محتمل على فرض التاليف الاضافي في [اسفل سافلين] ولكن ان جعلت [سافلين] حالا وهو احسن كان [اسفل] عاما مشيرا الى قصة آدم وهبوطه مع ذريته سواء جعلته ظرفا او حالا وعلى هذا الاستثناء منه واما [سافلين فقيه وجهان - الاول ان تجعله ايضا عاما فان الله تعالىٰ لم يردهم الى اسفل الابان

اخنا . الانسان سفلا لنفسه وعلى هذا تكون حرف الا للاستدراك اي لكن المومنين بعد ان كانوا سافلين حين اُهبطوا انهضوا وتابوا فلهم اجر دائم - وهذا تاويل حسن راجح كما هو ظاهر . والوجه الثاني ان تخرج المومنين من [سافلين] وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا اي المومنون مع الهبوط لم يكونوا سافلين ولكنهم عرجوا من السفل الى العلو واما الكفرون فبقوا فيما ردوا اليه بل ازدادوا سفلا -

(١٢) (في تاويل قوله تعالى [فما يكذبك بعد بالدين - احكم الحكمين])

ذهبوا في تاويله الى قولين : الاول - فاي شيء يكذبك ايها الانسان بالدين - واختاره مجاهد فانه لما قيل له عُني به النبيؐ قال معاذ الله انما عني به الانسان واختاره الزمخشري ثم زعم ان [يكذبك] معناه يحملك على التكذيب وهذا تاويل حسن لو ثبت ولعله اخذه من انكار مجاهد فان التكذيب بهذا المعنى تأبى ان ينسب الى النبيؐ ولكنه لم يات بشاهد على هذا المعنى - والثاني - فما يكذبك ... معنى بعد ذلك بالدين وذهب اليه الفراء وهو مصيب في انه لم يصرف الكلمة عن المعنى المتداول ولكنه يبعد عن سياق الكلام وموقع الاستفهام فانه ليس في الكلام ما يناسبه خطاب النبي بهذا بل ... مستفهما عن ... التفريع بقوله تعالى [فما يكذبك] ولا التاكيد بقوله تعالى [بعد] فالظاهر الاقرب من السياق وحسن النظم ما ذهب اليه مجاهد مع ... التكذيب على ما يوجد في كلام العرب وعلى هذا يسوغ تاويلان - الاول - فاي ... ايها الانسان بعد هذه الشهادات يخلف ... بوقوع الدين ... يكون الخطاب بالانسان ... ما يكون تثبيتا لمن آمن بالدين و... وعلى هذا التعيين اختيار كلمة ... الناس ... الكذبون ... عادوا و... واما الدلائل والشهادات ... فيه ما يكذب به في طب ... الى محض

الدلائل فيعلموا انه ليست فيها ما يكذبهم به - والثاني - فاى شئ من الامانى والظنون يخالج صدرك فى امر الدين بعد ان ولت الوقائع والشواهد وعلى هذا يكون وجه الخطاب الى المنكرين خاصة ولهذا الخطاب نظائر ومنها قوله تعالى [يايها الانسان ما غرك بربك الكريم] ويؤيده ما جاء من اظهارهم الظن فى امر الدينونة كما اخبر الله تعالى عن قولهم [ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين] وكلا التاويلان واضح حسن كما يظهر. الله تعالى اعلم وعلمه احكم - فمفاد الاستفهام الاول على كلا التاويلين ان تقرا الانسان بالدينونة وترك ما يلقى اليه من الشبهات سواء كان من الناس او من قبل نفسه بعد ان كثرت شواهدها وظهرت براهينها - ومفاد الاستفهام الثانى ان يذعنوا بالدينونة لكونها من صفات الرب تعالى فكانه قيل لهم اليس الله باحكم الحاكمين فكيف يمكن ان يترك الانسان سدى غير مجزى خيارهم كاشرارهم كما قال تعالى [افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون] -

(۱۳) (فى نظم السورة بما سبق وبما لحق وفيه اثبات هذه البعثة)

تضمنت السورتان السابقتان ما حمل النبى من اعباء هذه البعثة العظمى التى اسس بنيانها بيد ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وجعل لاجلها هذا البلد مأمونا من كيد الاعداء ولذلك اسكن فيه ابراهيم ذريته ومع ان الله تعالى انزل امرها وغشى ضحيها ظلمة الى مدة من الدهر وما قلاهم حتى اشرقه بنور اتم فبعث فيه هذا النبى ليكمل مقصد بناء هذا البلد . هو التوحيد الكامل والمواساة بضعفاء والرب تعالى حكيم يأتى بالمصالح وجعل لكل امر اجلا مسمى فذكر فى سورة التين كيف يزين الانسان بالحكمة ويقيم من بينهم امة بعد امة ويعطيهم الامانة ويرث قوما يفضى لهم بما اودعوا ايديهم سيما او نوا العهد والامانة كما قال تعالى [وهو الذى جعلكم خلائف الارض

ورفع بعضكم فوق بعض درجت ليبلوكم فيما آتكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم]
فذكر في هذه السورة شواهد على ظهور بركات هذا البلد وان هذا مبني على سنة الله بالانسان
من اول امره ومما ذكرنا تبين ان غاية هذه السورة اثبات هذه البعثة اثباتا لميا لكون
الرب تعالى ديانا واحكم الحاكمين واثباتا تاريخيا كان سلسلة وجدت كلها الا الحلقة المتمة
او كان قصرا اتم بنيانه الا اللبنة الاخيرة كما بشر بها المسيح عليه السلام وجاء في
الحديث الصحيح. وذكره باسم البلد الامين ليشير الى دعاء ابراهيم عليه السلام
حين دعا لهذه البعثة ولامة مسلمة تقوم بفرائضها فلما بعث الله هذا النبي امره بامر واحد
وهو رد الحنيفية البيضاء الى كمالها وهو الاسلام واقامة السلم في الناس وجعل
طريقها تلاوة آيات الله وتعليم الشرائع والحكمة والتزكية كما اخبر الله تعالى عن دعاء
ابراهيم حين دعا لهذا البلد وبنى هذا البيت المحرم [ربنا واجعلنا مسلمين لك و
من ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم،
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيتك ويعلمهم الكتب والحكمة ويزكيهم انك انت
العزيز الحكيم] وقد اوضح الله لنا رباط هذا البلد الامين والاسلام وتلاوة القرآن
وان ذلك هو غاية هذه البعثة المتمة حيث قال تعالى [قل انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة التي حرمها وله كل شيء وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلوا القرآن]
فبحسب هذا الربط اتبع هذه سورة البلد الامين سورة اقرء.. وجعل نعمة القرآن غاية
خلق الانسان والبرهان على كونه احسن تقويم وبين ذلك في السورة التالية
فقال [اقرء باسم ربك الذي خلق] الى قوله [وعلم الانسان مالم يعلم] واقرب
منه قوله تعالى - [الرحمن. علم القرآن. خلق الانسان علمه البيان] فدل على ان
القرآن مثل خلق الانسان من اوضح مظاهر رحمته فجمع بينهما فانه يعطي كل شيء حسبما
يجعله مستعدا له كما هو مبسوط في موضعه وبالجملة فكون الانسان في احسن تقويم

یتبعہ ان یعطی القرآن۔ فان ذلک ہو الرجوع الی احسن تقویم و
بروز ما اودع فی فطرتہ من الکمال۔ ہذا واللہ تعالیٰ
ہو الملہم للرشاد والموفق للسداد وآخر دعوانا
ان الحمد للہ رب العالمین والصلوۃ علی
محمد النبی الامین، وآلہ وصحبہ
اجمعین

فہرس مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

تطلب من مدرسۃ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڈھ۔